الفقيه الحنفي

حُسَامُ المِلّة والدِّين – السِّغْنَاقِيّ

د. رائد محمود دوينع متروك

وزارة التربية والتعليم الأردنية

التربية والتعليم لمنطقة معان

Matrook_raed@yahoo.com

المستخلص

يعتبر المذهب الحنفي من أكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً في العالم الإسلامي، حيثُ عمل فقهاء المذهب على نشره وتدوينه ، ومن الفقهاء الّذين يُشار اليهم بالبنان الفقيه النّحوي حسام الدين حسين بن علي بن حجاج السِّغناقي، والّذي كان له دور بارز في التأليف، والتّدريس ، وفي شرح أمّات كتب الفقه الحنفي، فجاءت هذه الدراسة؛ لتسلط الضوء على جهده وفضله، ودوره في نشر المذهب .

Abstract

AL-Hanafi doctrine is considered one of the most widely spread doctrines in the Islamic world, where the jurists worked hard to document and spread it .

One of the most leading jurists was the grammarian and jurist Husam AL-Deen Hussien Bin Ali Bin Hajaj AL-Signaqi .

In fact, Al- signaqi had aprominent role in writing, teaching and explaining the major books of AL-Hanafi jurisprudence (Fiqh) .

The aim of this study is to shed light on Al –Signaqi`s efforts and role spreading this doctorine .

أهمية الموضوع :

المذهب الحنفي أحد المذاهب الفقهيّة المشهورة وأوسعها انتشاراً، بدأت نشأته بالكوفة وبغداد، عندما وضع أسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفي سنة١٥٠ ه، ودوّن قواعده وفروعه الأولى صاحباه أو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم من أصحابه (رحمهم الله) .

وقد بلغ المذهب قمة عصوره الذهبية عندما أعلنته الدولة العثمانية مذهبا ً رسمياً ً يُعمل به في مجالات القضاء والفتيا في جميع الولايات والأقاليم الخاضعة لسلطانها .

وكان من نتيجة هذا النفوذ والانتشار أن نجد المذهب الحنفي من أكثر المذاهب الفقهية خصوبة في تراثه الفقهي، وأوفرها حظا ً في مجال التصنيف والتأليف، فنجد ما ألّفه علماء الحنفيّة في الفقه والأصول وغيرهما لا يكاد يحُصى كثرة ، منها ما وصل إلينا مطبوعاً ً أو مخطوطاً ً، ومنها ما ذهب في لجّة التّاريخ وأتت عليه الكوارث التي تعرض لها العالم الإسلامي .

وكثيرٌ من فقهاء المذهب الحنفي قد ذاع صيتهم، كالشيباني، وأبي يوسف، والسّرخسي، والمرغيناني وغيرهم، وتناقل طلبة العلم فقههم، وعملوا جاهدين على شرح مؤلفاتهم ونشرها ، وهنالك من فقهاء المذهب الحنفي من كان قامة في زمانه ، حيث انتقلت اليه رئاسة المذهب الحنفي في عصره ، إلّا أنّه لم يأخذ حقّه في التّعريف به ، أو في نشر ما كتب من الفقه ، حيث فُقِدت كثيرٌ من مؤلفاته ، وكثيرٌ منها ما زال مخطوطاً ً لم تهتدي إليه أقلام المجتهدين والمحقِقين .

سبب اختيار الموضوع : التّعريف بفقهاء الأمة وبتراثهم الفقهي واجبٌ شرعي، وهو من باب إسناد الفضل إلى أهله، ومن هؤلاء الّذين ذاع صيتهم في عصرهم وزمانهم، الإمام حسام الدين حسين بن علي بن الحجاج

السِّغناقي، والّذي آلت إليه رئاسة السّادة (فقهاء الحنفية) في زمانه، فقدره الكبير بين أقرانه، وغزارة فقهه وعلمه ، وشرحه لكتاب « الهداية في شرح بداية المبتدي» للمرغيناني، والذي يعتبر من أهم الكتب عند السّادة الحنفية جعلني أتناول التّعريف به ، مبيناً مكانته بين فقهاء عصره، ودوره في نشر المذهب الحنفي .

خطة البحث

المبحث الأول: حياة السِّغناقي – حسام الدِّين –

- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه .

المبحث الثاني: رحلاته، ثقافته، شيوخه، تلاميذه

المطلب الأول : رحلاته .

المطلب الثاني: ثقافته .

المطلب الثالث: شيوخه .

المطلب الرابع: تلاميذه .المبحث الثالث : عصره، مناصبه، مؤلفاته، مكانته العلمية، وفاته .

المطلب الأول: عصره .

المطلب الثاني: مناصبه .

المطلب الثالث: مؤلفاته .

المطلب الرابع : مكانته العلمية .

المطلب الخامس: وفاته

المبحث الأول: حياة السِّغْنَاقِيّ – حسام الدِّين-

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

حُسَامُ الدِّين، حُسَيْنٌ [1]،[2] بْنُ عَلِيٍّ، بن الحَجّاج، السِّغْنَاقِيُّ[3]، البُخَارِيُّ[1]، الحَنَفِيّ، أبو مُحَمّد.

---

[1] ينظر: القرشي،عبد القادر بن محمد بن نصرالله(١٣٣٢هـ)، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»،ج٢، ص٣١٦، ت: مير محمد كتب خانه، كراتشي، والعسقلاني، أبو الفضل أحمدبن علي بن محمّد بن حجر، (١٣٩٢هـ)،«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، تحقيق : محمّد عبد المعيد خان، ط٢،ج٢، ص١٤٢، دار النشر: حيدر اباد – الهند،والسلامي، محمّد بن رافع(١٤٢٠هـ)، تاريخ علماء بغداد«منتخب المختار»، ذ يل على تاريخ ابن النجار، انتخبه التقي الفاسي المكي، صححه عباس العزاوي، ط٢، ج١، ص٤١، الدار: العربية للموسوعات، بيروت، والغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي، (١٤٠٣هـ)، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، تحقيق:عبد الفتاح محمّد الحلو، ط١،ج٣، ص١٥٠، الناشر: دار الرّفاعي- الرياض، وذكر فيه(الصِّغْنَاقِي)، وابن تغري بردي، جمال الدين يوسف ، « المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي»، تحقيق: محمّد محمّد أمين، ج٥، ص١٦٣، دار النشر: الهيئه المصرية العامة للكتاب –القاهره، وذكر فيه: (الصّغْنَاقِي) بدل السّغْنَاقِيّ، وابن قطلوبغا، زين الدين قاسم السودوني، (١٤١٣هـ)، «تاج التراجم»، تحقيق: محمد خير رمضان، ط١، ج١، ص١٦٠،الناشر: دار القلم،-دمشق، وذكر فيه كذلك (الصّغْنَاقِيّ) بدل السِّغْنَاقِيّ، والسيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر ،جلال الدين،«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، تحقيق: محمّد أبو الفضل ابراهيم، ج١، ص٥٣٧، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان، وحاج خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب،(١٩٤١م)، «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، ج٢، ص١٧٧٦، الناشر: مكتبة المثنى –بغداد.

(٢) اختلف المترجمون في اسمه، منهم من قال : الحسين، ومنهم من قال : الحسن، والأصح ما ذكره رحمه الله في مقدمة كتابه «الوافي»، إذ قال: « قال العبد الضّعيفُ حسين بن علي بن حجاج السغْنَاقِيّ، جعل اللهُ يومه خيرا ً من أمسه ..»، ينظر: السِّغْنَاقِيّ، (١٤١٧هـ)، «الوافي في أصول الفقه»،تحقيق: أحمد محمّد اليماني، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ج١، ص ٢ .

(٣) " الحُسين بن علي الشّيخ حسام الدّين السِّغْنَاقِيّ الحنفِيّ"، ينظر : السيوطي،«بغية الوعاة »، مصدر سابق، ج١، ص٥٣٧ .

يذكره كثيرٌ ممّن ترجم لهُ :«الحسين بْنُ عَلِيّ بْنِ الحَجّاج»، بالألف واللام، والصّحيحُ ما أثبتناهُ؛ لأنّهُ المُثبتُ والمنقول من خطه، كما ذكره الزّرِكلِيُّ في «الأعلام»(٢)، ووجدته في خاتمة هذا الكتاب.

وَسِغْنَاق(٣): بالكسر: بلدة في تُرْكِسْتَانَ(٤)، والزّبيديُّ قيّدَهَا بالضّمّ (سُغْنَاق)، حيثُ قال:«قَرْيةٌ مِنْ أعْمالِ بُخَارَا، منها: الإمام حُسامُ الدّين علي ابنُ حَجّاج السّغْنَاقِيّ الحَنَفِيُّ، مُؤلّفُ«النّهَايَة»، أخذ عن ابْنِ حافظ الدّين مُحمّد بن مُحمّد بن نصْر النسَفي، وعنه العلّامة شمسُ الدّين أبو عبدالله الكاشغَرِيّ»(٥).

---

(١) البُخَاريّ : نسبة الى بُخَارى بالضم، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، وبينها وبين جيحون يومان، قال بطليموس في كتاب «الملحمة»: طولها سبع وثمانون درجة، وعرضها إحدى وأربعون درجة، وتتصف بكثرة بساتينها وثمارها .."، ينظر: الحموي، شهاب الدّين ياقوت بن عبدالله الرومي، (١٩٩٥م)،«معجم البلدان»، ط:٢، ج١، ص٣٥٣، الناشر: دار صادر- بيروت .

(٢) ينظر: الزّركلي، خير الدّين، (٢٠٠٢م)،«الأعلام»، ط١٥، ج٢، ص٢٤٧، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت.

(٣) السِّغْنَاقِيّ : نسبته إلى سغناق، بكسر السِّين المهملة، وسكون الغين المعجمة، ثمّ نون بعدها ألف، بعدها قاف، بلدة في تركستان، ينظر: اللكنوي، محمّد عبد الحي، ابو الحسنات الهندي، (١٣٢٤هـ)،«الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، تحقيق: محمّد بدر الدّين النعساني، ط:١، ج١، ص٦٢، الناشر: مطبعة السّعادة-مصر، والزّبيدي، محمّد بن عبدالرّزاق الحسيني،«تاج العروس في جواهر القاموس»، تحقيق: مجموعة محققين، ج٢٥، ص٤٥٠، الناشر: دار الهداية، والباباني، اسماعيل بن محمّد أمين،(١٩٥١م)« هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، ج١، ص٣١٤، الناشر : طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول.

(٤) تُرْكِسْتَانُ : هي بلاد التُّرك، وهو اسم جامع لجميع بلاد التُّرك، وأوّلُ حدّهم من جهة المسلمين فاراب، قالوا : ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة، ينظر :ابن عربشاه، أحمد بن محمّد، (١٨١٧هـ)، «عجائب المقدور في أخبار تيمور»، طبعة: كلكتا، ج١، ص٢٣، والحموي، «معجم البلدان»، مصدر سابق ج٢، ص٢٣، والزركلي، «الأعلام»، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٤.

(٥) ينظر : الزّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق، «تاج العروس»، تحقيق: مجموعة من المحققين،ج١٧، ص٣١٢،الناشر: دار الهداية.

بعضهم يقول: الصّغْنَاقِي، بإبدال السّين صاداً ، كما ورد عند ابن قطلوبغا، «تاج التراجم»[١]، وعند الغزي،«الطبقات السّنية»[٢]، وعندابن تغري بردي،«المنهل الصّافي»[٣]، وفي «كشف الظنون» لحاجي خليفة: مرةً يقول :الصّغْنَاقِي[٤]، ومرةً يقولُ السّغْنَاقِي[٥]، وكذلك عند القُرَشي في «الجواهر المضية» مرة يقول السّغْنَاقِيّ، ومرة الصغْنَاقِيّ[٦].

لم يذكر في مصادر ترجمته مكان ولادته وتاريخها، حيث قام التّتر في بداية القرن السابع الهجري بتدمير مدن بُخَارَى، ومنها سِغْنَاق وَفَارَاب[٧] وغيرها، وقد شرَحَ وفصّل ابن الأثير-رحمه الله- ذلك في «كتابه»[٨] تلك الأعمال الوحشيّة في باب«ذِكْر خُرُوج التّتَر إلى تُرْكِسْتَانَ وما وَرَاءَ النّهْر وَمَا فَعَلُوهُ»[٩].

(١) ينظر : ابن قطلوبغا، « تاج التّراجم»، مصدر سابق، ج١، ص١٦٠.

(٢) ينظر : الغزي،«الطبقات السّنية في تراجم الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٤.

(٣) ينظر : بن تغري بردي، «المنهل الصافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٦٣.

(٤) ينظر : حاجي خليفة ، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج١، ص ٨١.

(٥) ينظر : حاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢،ص ١٨٣٨.

(٦) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤١.

(٧) فاراب : أحد بلاد الترك، بالقرب من نهر سيحون، وهي قاعدة من قواعد مدن الترك، يقال : فاراب الداخلة، ولهم فاراب الخارجة، وسميت أُطرار، بضم الهمزة، وجميع أهلها على مذهب الإمام الشّافعي-رضيَ اللهُ عنه- ، ينظر : الحموي، «معجم البلدان»، مصدر سابق، ج١،ص ٢١٨ ، وابن خلكان، شمس الدّين أحمد بن محمّد بن ابراهيم، (١٩٠٠-١٩٩٤)، «وفيات الأعيان»، تحقيق: إحسان عباس ، ج٥، ص١٥٧، الناشر: دار صادر – بيروت.

(٨) المقصود : « الكامل في التاريخ » لابن الأثير.

(٩) ينظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد، (١٤١٧هـ)، «الكامل في التاريخ»، تحقيق: عمر تدمري، ط:١، ج١٠، ص٢٦٠، دار النشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، وفامبري، «تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتّى العصر الحاضر»، ترجمة: أحمد محمود السّاداتي، راجعه : يحيى الخشاب، ص١٦١، دار النشر: نهضة الشّرق- جامعة القاهرة.

وهذه الأحداث الجسيمة والكبيرة[١]، وقعت جلّها قبل مولد السّغناقي – رحمه الله-، لذا ترتب عليها رحيلُ كثيرٍ من المسلمين من تلك البلاد، الّتي دمّرت جراء أفعال التّر الوحشية[٢] إلى خوارزم وغيرها من بلاد المُسلمين، لذا تنقل السّغْنَاقيّ فيها، وزار مدنها، ومكث في البعض منها، وأملى كتابه«الوافي»[٣] في تلك البلاد[٤].

يقولُ السّغْنَاقِيّ[٥] :«ثُمّ رِوَايَةُ «المُفَصّلِ» بلغتني من الإمَامِ العالم...حَافِظِ الدّين مُحَمّدِ بن مُحمّدِ بنْ نصْرٍ البُخَارِيّ-رحمهُ الله-، قراءة عليه بتاريخ ٦٧٦هـ».

السّيُوطِيّ قال(٦): «وَله شرح«المُفَصّل»: ذكر فِي أوّلِهِ«أنّهُ قَرَأهُ على حافِظِ الدّين البُخاريّ سنة٦٧٦هـ».

وإنّمَا قَرَأ«المُفَصّلَ» للزمخشري، وأمّا الشّرح المسمّى:«المُوَصّلُ فِي شَرْحِ المُفّصّلِ»فَإنّهُ ألّفَهُ بعد سنة (٧٠٠هـ)،كما سيتضح فيما بعد.

وإنْ كان قد قرأ «المُفَصّلَ»سنة (٦٧٦هـ)، فيكونُ عمره على أقل تقدير(١٥)سنة، ويقولُ هو عن نفسه(١): «إذَ أُولعْتُ مُذْ نِيطَتْ عَنّي التّمَائِمُ،

---

(١) باب : ذِكرُ ما فعَلَهُ التّتر بما وراء النّهر بعد بُخَارى وسمرقند، " سيّر جِنْكِزخان جنوده إلى فرغانة؛ ليملكوها، وسيّر كذلك إلى ترْمذَ ، وإلى كلانة ....، نازلتها واستولت عليها، وفعلت من القتل، والأسر، والسّبي، والنّهب، وأنواع الفساد .."، ينظر: ابن الأثير، «الكامل في التّاريخ»، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٥٧.

(٢) " فوصلوا إلى الرّيّ على حين غفلةٍ من أهلها، فلم يشعُرُوا بهم إلّا وقد وصلُوا إليها، وملكُوها، ونهبُوها، وسبوا الحريمَ واسترقوا الأطفال، وفعلوا الأفعال الّتي لم يسمعْ بمثلها، .."، ينظر : ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، مصدر سابق، ج١٠، ص ٣٤٤

(٣) « الوافي»: شرحُ «المُنْتَخَب في في أصول المَذْهَب للاخسيكثى»، ينظر : الباباني، الباباني، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٣ .

(٤) ينظر: السّغْنَاقِي، (١٤١٤هـ)،«النّجاح التّالي تلو المراح»، تحقيق: عبدالله عثمان عبدالرحمن، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص١٤ .

(٥) ينظر : السّغْنَاقِيّ، (١٤١٩هـ)، «المُوَصّلُ فِي شرْحِ المُفَصّلِ»، تحقيق: أحمد حسن أحمد، ج١، ص٥، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى .

(٦) ينظر : السّيُوطي، «بغية الوعاة»، مصر سابق، ج١، ص٥٣٧ .

التّمَائِمُ، وَنِيطَتْ بِيَ العَمَائِمُ، بِاسْتِكْشَافِ مُعْضَلاتِهَا، واسْتِفْتَاحِ مُقْفَلاتِهَا» وفي ذلك دلالة على حبه الكبير للعلم والعلماء، حيث طلب العلم مبكراً .

المبحث الثاني : رحلاته، ثقافته، شيوخه، تلاميذه

المطلب الأول: رحلاته :

ذكرنا أنّه تنقّلَ في خوارزم ومدنِهَا، وزار البلاد الآمنه المجاوره لخوارزم، ثمّ نزلَ بلدةَ كَاث(٢)، والتقى بالفخر الأسْفِنديّ(٣)،صاحب «المقتبس»(٤)، واجتاز بالخانقاه(٥) العباسي سنة (٦٩٣هـ)، ومن ثمّ دخل

---

(١) ينظر: السِّغْنَاقِي، «الوافي في أصول الفقه»، مصدر سابق، ج١، ص٢ .

(٢) كاث : وهي بلدة كبيرة من نواحي خوارزم، إلّا أنّها من شرقي جيحون، وجميع نواحي خوارزم إنّما هي من ناحية جيحون الغربية، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، (١٤١٣هـ)، « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط:٢،ج ٢٩، ص١٤٣، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، والحموي، «معجم البلدان»، مصدر سابق، ج٤، ص٤٢٧.

(٣) علي بن عمر بن خليل بن علي، أبو عاصم، الفقيه المدعو الأسفيذاري ، المُتوفّي سنة ٦٩٨هـ، من تصانيفه : «المقتبس في توضيح ما التبس»، في شرح المفصّل للزمخشري، (واسفيذار : بالفتح، ثمّ السُّكون وكسر الفاء، بَلدَةٌ كبيرة في ما وراء النّهر)، ينظر : البغدادي، اسماعيل بن محمّد أمين الباباني، (١٩٥١م)، «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»،ج١، ص٧١٥، الناشر: مطبعة وكالة المعارف-استانبول، والغزي، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢٠١، وحاجي خليفة، «كشف الظنون »، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٧٦.

(٤) سمّيَ «بالمقتبس»: لأنّ مواده مقتبسه من كتب جرت مجرى الشروح«للمفصل»: «كالتخمير»، و«الإيضاح»،و «العقارب»، و«المحصل»، ينظر : حاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٧٦.

(٥) خانكاه: وهي كلمةٌ فارسيةٌ، معناها: بيت، وقيل: أصلها : خونقاه، أي : الموضع الّذي يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سنين الهجرة، وجعلت لتخلي الصّوفية فيها؛ لعبادة الله تعالى، ويرتّب لهم فيها الطعام، وتقدّم الكساوي من خيرات البساتين، والأسواق، والعمائر الموقوفة عليها ، ينظر : الذهبي، «تاريخ الإسلام»، مصدر سابق، ج٢٩، ص٣٥٦، والمقريزي، أحمد بن علي بن عبد

بغداد ودرس بمشهد الإمَام أبي حنيفة –رحمه الله-بمحلة الخضريين، ثمّ ذهب إلى دمشق حَاجّاً ، ودخلها سنة(٧١٠هـ)، وكان معه جماعةٌ من الفضلاء.

وفي طريق عودته من سفر الحجاز ،التقى بقاضي القُضَاة نَاصِر الدّين محمّدٍ بن القاضي كمال الدّين أبي حفص عمربن العديم بحلب، فذكر أنّهُ أجاز له أنْ يروي جميع مجموعاته ومؤلفاته خُصُوصاً ، وأجاز أيضاً لمن كان له فيه حقٌ الرِّوَايةِ من الأسَاتِذَة، قال: وكَانَ هذا في غرّة شهر المُعَظّم رَجَب من شهور سنة (٧١١هـ) ، ثمّ رجَعَ إلى بلدِهِ مَارّاً بمَرْو، فتوفاهُ اللهُ فيها .

المطلب الثاني : ثقافته

بما أنّهُ قد تنقّلَ في مدن خوارزم،وعملَ على التّدريس بمشهد الأخْسِيْكَثِيّ في خوارزم(١)، حيثُ قال السّغْنَاقي(٢):«ثمّ ممّا شرّفَني اللهُ –تعالى- بأفضاله، وأكرمَني بجلَاله، أنّهُ وَفّقَني بإمْلَاءِ«الشّرح»في مسجد المؤلّف ومَشْهَده، وَبالخَتْمِ على تُربَةِ المُصَنّف ومرقَده، إحيَاءً لهذه السُّنّة الرّضيّة، والخَصْلَةِ السّنيّة(٣)، وقد تمّتْ بحمدِ الله-تعالى-وبالله التّوفيق، بتاريخ يوم الجمعة، العشرين منْ شهرِ صَفَرَ، الواقع سنة ٦٩٢هـ»، ومن خلال تدريسه وكتاباته، ومن خلال النّصوص والعبارات الفارسيّة التي استعملها في ثناياها أي «النّهاية»، وغيرها من المؤلفات، نلحظ أنّهُ قد دمج بين ثقافته الإسلاميّة وبين الثقافة الفارسيّة، ويعتبرُ السّغْنَاقيّ في زمانه، من العلماء المعْدُودين في علم الأصول، والفقه، والنحو، كما أنّهُ الّف في علم الصّرف وغيره.

القادر ،«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار»، ط:١، ج٤،ص ٢٨٠، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

(١) ينظر : السّغْنَاقي، «النّجاح»، مصدر سابق، ص٥٠.

(٢) ينظر : السّغْنَاقي، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٩.

(٣) خصلةٌ سَنِيّةٌ ، أي رَضِيّةٌ .

المطلب الثالث: شيوخه

اقتصر السِّغْنَاقِيُّ في خاتمة كتابه «الوافي» على مجموعةٍ منهم، حيث قال(١) :«فقدْ ثبتَ لي حَقُّ الرِّوَايةِ منهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الأئمّةِ الكُبَرَاءِ، والأسَاتِذَةِ العُظَمَاءِ، بحيثُ يطُولُ الذِّكْرُ، ويَكِلُّ الفِكْرُ»، وقد أكدّ في كتابه «الوافي»(٢) على فضل وقدر شيخيه، أي : حافظ الدّين محمّد بن محمّدٍ البخاري، وشمسُ الأئمّة الكردري- رحمهما الله-، حيثُ قال :«ثمّ من بين هؤلاء أشدُّهُمُ اعْتِنَاءً بشأْنِي، وَاحْتِمَالاً لِمُؤْنِي،هو السّابقُ وَالْمُصَلِّي، أكْرَمَهُمَا اللهُ بأعْلَى دَرَجَاتِ المُصَلِّي»، لذا فقد أكثر النّقل عنهما، وفي أكثر من كتاب، وذكرهما في مقدمة كتابه:«النّهَايَةِ»، وكرّرَ ذكرهما في خاتمة كتابه، مُقدماً جزيل الثناء عليهما؛ لِمَا لاقاهُ من عظيم العناية ،ووافر الفوائد.

لذا فالسِّغْنَاقِيُّ كان بينهُ وبين صاحب «الهداية» شيخان، فقد ذكر أنّهُ كان يروي «الهداية»(٣) عن شيْخَيْه الأوّل والثّاني، فمن شيوخه :

فَخْرُ الدّين مُحمّدٌ(٤) بن مُحَمّدٍ بن إلْيَاس المَايْمَرْغِيُّ(٥)، تليميذ الكردري، وروى «الهداية» عنه عن مصنفها(١)، فهو أستاذ السِّغْنَاقِي، وهو المَقْصُودُ

---

(١) ينظر : السّغْنَاقِي، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٧.

(٢) ينظر: السّغْنَاقِي، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٨.

(٣) " تفقه على الإمام حافظ الدّين الكبير محمّد بن محمّد بن نصر البُخاريّ...وعلى الإمام فخر الدّين محمّد بن محمّد بن إلياس المايمرغي، وروى عنهما الهداية بسماعها من شمس الأئمة الكردري عن المُصنف "، ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣.

(٤) ينظر : البخاري علاء الدّين، عبد العزيز بن أحمد بن محمّد،« كشف الأسرار شرح أصول البزدوي»، ج١،ص٣، الناشر: دار الكتاب الإسلامي- بيروت، واللكنوي، «الفوائد البهية»، مصدر سابق،ج١، ص١٨٦، والقرشي، «الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج٢، ص١١٥، وحاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٤٨.

(٥) المَايَمرْغِي: بسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، بين الميمين المفتوحتين، وسكون الرّاء، وفي آخرها الغين المعجمة المكسورة، هذه النسبة إلى مايمرغ، وهي

بقول السِّغْنَاقِيِّ «وما ذكر: من لفظ «الأستاذ»(٢)، فالمراد منه : الإمَامُ المحقّق مولانا فَخْرُ الدِّين المَايْمَرْغِيّ»، قال بحقّه السِّغْنَاقِيُّ(٣): «ومنهم :الإمَامُ الزّاهدُ البارعُ الورع، المقدم في حلبة سباق التّدقيق، ومضمار التّحقيق، وهو العينُ الفوّارةُ في الأحكام الشّرعية، والينبُوع المعين في الأصول المِلّيّة، وهو الّذي شدّ عضدي، وآزرَ أزري، ومدّ بضَبْعِي، وقوّى ظهري، وهو الأوحدي في درك دقائق فخرالإسلام(٤)، ونشر مصنفاته فيما بين الأنام، والمخصُوص بمصاحبة صاحب (٥)«المختصر»(٦) وروايته، وتبليغ فقهه ودرايته، مولانا وسيدنا فَخْرُ الدِّين المَايْمَرْغِيُّ، تغمدهُ اللهُ بالرّحمة والرِّضوان، وأسكنه في فراديس الجنان».

قرية كبيرة حسنة على طريق بخارى، ينظر: السّمعاني، « الأنساب»، مصدر سابق، ج٥، ص١٨٤، والقرشي، « الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق،ج٢،ص ٣٤٥.

(١) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج٢، ص١١٥.

(٢) " كما ذكر في شرح «الهِدَايَة»من لفظ الشّيخ، فالمُرَاد به حافظ الدّين، وما ذكر من لفظ الأستاذ فالمراد به فخر الدّين المايمرغي"، ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٣، والغزي، «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٤.

(٣) ينظر : السِّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٤.

(٤) علي بن محمّد بن الحسين بن عبد الكريم، فخر الإسلام البزدوي، صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة، الفقيه الإمام الكبير بما وراء النّهر، أبو العسرأخو القاضي محمّد أبي اليسر، ذكره صاحب«الهداية» في الوديعة باسمه، ومن تصانيفه: «شرح الجامع الكبير»، و«شرح الجامع الصّغير»، و«المبْسُوط» وعدد مجلداته (١١) مجلد، توفي سنة : ٤٨٢هـ، ينظر : القرشي،«الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٢، والذهبي،«سير أعلام النبلاء»، مصدر سابق،ج٣٦، ص٨٢.

(٥) حسام الدّين محمّد بن محمّد بن عمر، أبو عبدالله، الأخْسِيْكَثِيُّ،(٦٤٤هـ).

(٦) كتاب «المختصر» لمحمّدِ بن محمّدِ بن إلياس المايمرغي، هذا الكتاب فاق سائر التّصانيف المختصرة بحسن التهذيب، ومتانة التّركيب، بيد أنّهُ اقتصر فيه على الأصول كُلّ الإقتصار، فشرحه بعد فراغه من إملاء «كشف الأسرار»، وهو شرح«أصول البزدوي»، ينظر: حاجي خليفة،«كشف الظنون»، ج٢، ص١٨٤٨ .

حَافِظُ الدِّين مُحمَّدٌ(١) بن مُحمَّدٍ بنِ نَصْرٍ، أبُو الْفَضْل البُخَارِيٌّ(٦٩٣هـ)، تفقه على شمس الأئمّة محمّد ابن عبد الستار الكردري، وقرأعليه الأدب وسائر العلوم(٢)، وهو المقْصُودُ بقوْل السِّغْنَاقِيِّ«وما ذكر :«من لفظ شيخي»، فالمرادُ منه: أستاذ العالم مولانا الإمَامُ العالم الرّباني، حَافِظُ الدِّين الْبُخَارِيٌّ- رحمه الله -»، وقال عنهُ(٣):«فَإنّي لمّا ظفرتُ بخدمة الإمَام العالم المحجاج الرّباني، البارع الورع الصمداني، أستاذ العلماء، بقية الكبراء، المتفرّدُ بإحياء سيَرِ السّلَف، المُتَوحّد على وجْه الغَبْرَاء، بأنّهُ خَيْرُ الخَلَف، مولانا حَافِظُ الدِّين البُخَارِيٌّ، شَكَرَ اللّهُ مَسَاعِيَهُ، وَزَادَ مَعَالِيَهُ»، وقد سمع منه أبو العلاء البُخَارِيّ الفرضي، وذكره في معجم شُيُوخه(٤).

حَافِظُ الدِّين عبدالله(٥) بن أحْمد بن محْمُود، أبُو البركات النّسَفِيّ، أحد الزُّهَاد المُتأخّرين، صَاحِب التّصانيف في الفقْه والأُصُول، لهُ «المُسْتَصْفى في شرح المنْظُومة»، وله «النّافع» سمّاهُ «بالمنافع»، وله «الكافي» في شرح «الوافي»، و«الوافي» تصنيفه أيضا (٦)، سمع منْهُ السِّغْنَاقِيٌّ، دخل بغداد سنة(٧١٠هـ)، وتوفيّ في نفس السّنة، قال عنهُ السِّغْنَاقِيٌّ(٧) :«ومنهم : الإمَامُ الزّاهد مدرك اللّمحة، مُصيب الرّمزَة(٨)، رئيسُ أهل الطّريقة، تاجُ

---

(١) ينظر: اللكنوي، «الفوائد البهية»، مصدر سابق، ج١، ص١٩٩، والقرشي،«الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج٢، ص١٢١.

(٢) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج٢، ص١٢١.

(٣) ينظر : السِّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٤.

(٤) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج٢،ص٣٦٧.

(٥) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج١وج٢، ص٢٧٠+٣٦٧، والسلامي، «منتخب المختار»، مصدر سابق، ص٦٥ ، وابن قطلوبغا، «تاج التراجم»، مصدر سابق، ج١، ص١٧٤.

(٦) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٠ ، وبن تغري بردي، بردي، «المنهل الصّافي»، مصدر سابق، ج٧، ص٧١.

(٧) ينظر: السِّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٦ .

(٨) الرّمْزَةُ : تصْوِيتٌ خفيٌّ باللّسَان كالهمْس، ويكونُ تحريك الشّفتين بكلامٍ غير مفهُومٍ باللّفْظ من غير إبانة بصوتٍ، وإنّما هو اشارة بالشّفتين، وقيلَ : الرّمزُ إشارة

أهل الحقيقة، مُصنف آخر الزّمان، نفّاع طلبة العلم، الّذين هجروا الأوطان».

حُسَامُ الدّين النّيازوي، قال بحقّه السّغْناقيّ(١):« ومنهم: الإمَامُ العالم النّطِسُ(٢) اللّوْذَعِيّ، والقَرْمُ(٣) النّدِسُ(٤) الأحْوَذِيّ ..».

شمسُ الدّين العضد الكندي(٥)، قال بحقّه السّغْنَاقِيّ(٦): «ومنهم: الإمَامُ العالم الزّاهد المُحقّق، والهمام المُدقق،المشهود له باليد البيضاء في الأصول، والحجّة ذات المضاء في المعقول».

جلال الدّين المعشر، قال بحقّه السّغْنَاقِيّ(٧): «ومنهم:الإمَامُ الزّاهد، أرأف النّاس على عباد الله الأخيار، وأعطفهم عليهم من الآباء الأبرار، معدن الأحاديث النّبوية، مجمع الآثار المصطفوية، مولانا جلال الدين المعشر- رحمهُ الله-، وهو أوّلُ من فتق لساني،وفتح جناني»، وغيرهم.

وإيماء بالعينين والحاجبين والشّفتين والفم، ينظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، (١٤١٤هـ)، «لسان العرب»، ط :٣، ج٥، ص٣٥٦، الناشر: دار صادر، بيروت .

(١) ينظر: السّغْنَاقي،« الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٦ .

(٢) النّطسُ : من نَطس، ورجلٌ نطْسٌ، ونَطِسٌ ونَطِيسٌ، ونِطاسيٌّ، أي عالمٌ بالأمور حَاذِقٌ بالطّبِ وغيره، ينظر : ابن منظور،«لسان العرب»، مصدر سابق، ج٦، ص٢٣٢ .

(٣) القرمُ : السيد، الكريم من الرّجال، وأصله : الفحل من الإبل، يُكْرم ولا يمتهن بالحمل، إنّما يُعْد للضّراب، ينظر: الخطابي، أحمد بن محمّد بن ابراهيم البستي، (١٤٠٢هـ)، «غريب الحديث»، تحقيق: عبد الكريم ابراهيم العزباوي، ج٢،ص١٩٣، جامعة أم القرى- مكة المكرمة

(٤) رَجُلٌ نَدْسٌ ونَدُسٌ، ونَدِسٌ، أي: فَهِمٌ سرِيعُ السّمْعِ فَطِنٌ، ينظر: ابن منظور،« لسانُ العرب»، مصدر سابق،ج٦، ص٢٢٩ .

(٥) الكِندي : بكسر الكاف وسكون النون، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبةٌ إلى كنده، وهي قبيلة مشهورة من اليمن تفرقت في البلاد، وكان منها جماعة من المشهورين في كُلّ فن ، ينظر: السمعاني، «الأنساب»، مصدر سابق، ج١١،ص١٦١ .

(٦) ينظر : السّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٧ .

(٧) ينظر : السّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٥ .

المطلب الرابع : ومن تلاميذه

الكاكي، مُحَمَّدٌ(١) بن مُحمّدٍ بن أحمد السِّنجاري، قوامُ الدِّين، الفقيه الحَنَفِيّ، الأصولي، وله كتاب« مِعْرَاجُ الدِّرَايَةِ في شرْح الْهِدَايةِ» فرغ منه سنة (٧٤٥هـ)، و«جامع الأسرار» في شرح المنار، و«عيون المذاهب الكاملي»، " وهو مختصر جمع فيه أقوال الأئمة الأربعة، وأهداه إلى السُّلطان شعبان بن محمّد - الملك الكامل"، توفي سنة(٧٤٩هـ)(٢).

أحمد(٣) بن عليّ بن أحمد، أبو طالب الْهَمْدَانِي، عُرِفَ بأنّهُ إبن الفصيح الْكُوفِي، قال بحقه ابن حجر(٤): «قال شيخنا العراقي»، كان إماماً عالماً عالماً علامةً، وكان متعبداً في مشهد أبي حنيفة ومدرساً، وله مصنفات في المذهب، (٧٥٥هـ).

جلال الدِّين(٥) بن شمس الدِّين الخوارزمي الكرلاني، من فقهاء الحنفية، كان عالماً فاضلاً، أخذ عن حسام الدّين الحسن السِّغْنَاقِيّ وغيره، وأخذ عنه ناصر الدّين محمّد بن شهاب، وطاهر بن اسلام بن قاسم الخوارزمي، الشهير بسعد غديوش، له مصنف:«الكفاية شرح الهداية»، توفي سنة (٧٦٧هـ)(٦).

(١) ينظر: البغدادي،«هدية العارفين»، مصدر سابق، ج٢، ص١٥٥، واللكنوي، «الفوائد البهية»، مصدر سابق، ج١، ص١٨٦.

(٢) ينظر : الزركلي، «الأعلام»، مصدر سابق، ج٧،ص٣٦.

(٣) ينظر: ابن الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف، «غاية النهاية في طبقات القرّاء»،عني بنشره لأول مرّةٍ عام (١٣٥١هـ)، ج : برجستراسر، ج١، ص٨٤، الناشر: مكتبة ابن تيمية، والقرشي،«الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج١، ص٧٩.

(٤) ينظر : الغزي، «الطبقات السنية»، مصدر سابق، ج١، ص١١٧.

(٥) ينظر: اللكنوي: «الفوائد البهية»، مصدر سابق، ج١، ص٥٨.

(٦) ينظر : حاجي خليفة، « كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٩٩.

محَمّدٌ بن عبدالرحمن الغَزْنَوِيّ(١)، الإمام(٢)، له مصنف «جامع الأنوار» في الحديث.

« جلال الدّين أحمد بن علي بن محمود الغُجْدُواني (بضم الغَيْن المُعْجَمَة والدّال، وسكون الجيم، قرية ببخارى) الحنفي النّحويّ، له شرح «الكافية » لابن الحاجب في النّحو، وذكره ابن فليتة في ديوان شعره «سوق الفواكه ونزهة المتفاكه»، توفي في حدود سنة ٧٣٠هـ»(٣) .

المبحث الثالث : عصره، مناصبه، مؤلفاته وكتبه، مكانته العلمية، وفاته :

المطلب الأول : عصره

في خضم الحوادث والأمور العظام، والأهوال الجسام التي عصفت بالأمة الإسلامية، كسقوط الدولة العباسية(٤)، وقتل خليفة المسلمين، وتدمير بغداد على يد المغول والتتار سنة (٦٥٦هـ)، وما رافق ذلك وعلى أزمنة متقاربةٍ من هجمةٍ مستعرةٍ للصلبيين على الإسلام والمسلمين من خلال

(١) الغزْنَويٌ : بفتح الغين وسكون الزّاي، وفتح النون، نسبة إلى مدينة غزنة، وهي مدينة عظيمة، حيث تعتبر الحد الفاصل بين خراسان والهند، ينظر : القرشي، « الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٣١ .

(٢) ينظر : حاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٣٨ .

(٣) ينظر : الباباني، اسماعيل بن محمّد أمين،«هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، ج١، ص١٠٧، الناشر : طبع بعناية وكالة المعارف الجلية في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، و السيوطي، «بغية الوعاة»، مصدر سابق، ج٢،ص٣٨١، وحاجي خليفة، « كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٧٠ .

(٤) " ولمّا كانت سنة ١٢٥٨هـ استولى المغول تحت قيادة هولاكو على بغداد، وقتلوا الخليفة، وانقرضت دولة العباسين، فعم الخرابُ والدّمار جميع بلاد ما بين النهرين وسورية، ثمّ خرجوا بالجيش على حلب، فسار ابن العبري إلى هلاكو؛ ليستعطفه على رعيته، ولكنّ الجند قد توغلوا في المدينة، وقتلوا من الروم واليعاقبة مقتلة كبيرة ..."، ينظر : ابن العبري، غريغوريوس، يوحنا ابن أهرون بن توما،(١٩٩٢)، «تاريخ مختصر الدول»، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط:٣، ج: المقدمة، ص٤ .

الحروب الصليبية في بلاد الشام(١)، عاش السِّغْنَاقِيُّ – رحمه الله – في النّصف الأخير من القرن السابع الهجري، وعاصر هذه الأمور الجسام، فكان لها أثر بالغ على نفسيته ونفسية كلِّ إنسانٍ مسلمٍ في ذلك الوقت، ناهيك عن عن المذابح والقتل الّذي استمرّ نيفاً وثلاثين يوماً(٢)، وقتل خليفة المسلمين العباسي المعتصم بالله في ذلك الوقت(٣).

أمّا عن بلاد خراسان، وما وراء النّهر، فقد حكمها الأتراك السلاجقة دولاً بعد دول، ففي هذه الفترة تنقّل السِّغْنَاقِيُّ –رحمه الله- فيها من مكانٍ إلى مكان.(٤)

المطلب الثاني : مناصبه

في زمانه انتهت إليه رئاسة الحنفيّة، وكان ملازماً للتصنيف والتدريس، لذا فإنّهُ :

قام بالتدريس بمشهد أبي حنيفة، بمحلة الخضريين ببغداد(٥) .

---

(١) « فإنّ الفرنج إذا تمكّنوا من ذلك جعلوهُ وسيلة إلى أخذ الشّام جميعه، ينظر : ابن كثير،

(٢) " وركب إلى بغداد فاستباحها، واتّصل العبثُ بها أياماً، وخرج النساء والصّبيان وعلى رؤسهم المصاحف والألواح، فداستهم العساكر، ومانو جميعاً، ويُقال: إنّ الّذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف، ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم الّتي كانت بخزائنهم جميعاً في دجلة ..."، ينظر : ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد بن محمّد، (١٤٠٨هـ)، « تاريخ ابن خلدون»، تحقيق: خليل شحادة، ط :٢، ج٢، ص ٦٦٣، الناشر: دار الفكر –بيروت.

(٣) ينظر: ابن كثير، اسماعيل بن عمر القرشي، (١٤٠٨هـ)،«البداية والنهاية»، تحقيق: علي شيري، ط:١، ج١٣، ص٢٠٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي- مصر.

(٤) ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان،«العبر في خبر من غبر»، تحقيق: أبو هاجر محمّد بن السعيد زغلول، ج٣، ص٧٨، الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت.

(٥) ينظر: القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحفية»، مصدر سابق، ج١،ص ٢١٣، والسلامي، «منتخب المختار»، مصدر سابق، ص٤١.

ولي التّدريس في خوارزم بمشهد الأخْسِيْكَثِيّ(١).

يقول السّغْنَاقِيّ(٢):«ثمّ ممّا شرّفني الله تعالى بإفضَاله، وأكرَمَني بجَلاله أنّهُ وَفّقَني بإمْلاءِ «الشّرح» في مسجد المؤلّف ومَشْهَده، وبالخَتْمِ على تُربَة المُصنّف ومرقَده،وتوحّدَني،إحياءً لهذه السّنّة والرّضيّة، والخَصْلَة السّنِيّة، وقد تمتْ بحمد الله تعالى وبالله التّوفيق، بتاريخ يوم الجمعة، العشرين من شهْرِ صَفَرَ، الواقع في سنة(٦٩٢هـ)» .

يقول السّغْنَاقِيّ(٣) :«إنّ شَيْخِي هذا(٤)،فَوّضَ إليّ: قَلَمَ الفتْوَى، وَخَصّني منْ بَيْنِ أصْحَابِي بهذه الجَدْوَى، حَالَ عُنْفُوَان شَبَابي نيابةً عن نفسه المُطْمَئنّة، وذاته الشّريفة المَرْضيّة»، لذا نلحظ أنّ شيخَهُ حافظ الدّين البُخَاريَّ، كلّفَهُ بالفتوى وهو في ريعان شبابه

المطلب الثالث : مؤلفاته وكتبه

كانت تآليفه في فروع الحنفية، وفي أصول الفقه والدّين، وفي الرّدّ على الفرق الضّالة، كالمبتدعة في الدّين، وكذلك ألف في النّحو والصّرف .

يقول(٥) السّغناقيّ-رحمه الله-: « رَأيتُ في الدّهْرِ فُتُورا ً، وشاهدْتُ في العَصْرِ قُصُورا ً، اخْتَصَرُوا على المُخْتَصَر، واقْتَصَرُوا على الْمُفْتَقِر،... »، لذا نلحظ أنّ الصّفة البارزة على مصنّفاته وآثاره كان «شرح المختصر»، ومن مؤلفاته وكتبه :

«النّهايةُ فِي شَرْحِ الْهدَايَةِ»، وكتاب الهداية للإمام المرغيناني (٦).

(١) ينظر : السّغْنَاقِيّ، «النجاح»، مصدر سابق، ص٥٠.
(٢) ينظر: السّغْنَاقِيّ، «الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٩.
(٣) ينظر: خاتمة النهاية : (ج).
(٤) هو حافظ الدّين البُخاريّ، كما جاء في خاتمة «النهاية».
(٥) ينظر: السّغْنَاقِيّ،«النجاح»، مصدر سابق، ص٧٥.
(٦) «وهو أوّل من شرح «الهداية» »، ينظر : السيوطي، «بغية الوعاة»، مصدر سابق، ج١، ص٥٣٧.

«المُوَصّلُ فِي شَرْحِ الْمُفَصّلِ(١)»، هذا الكتاب هو ثالث مصنفات السِّغْنَاقِيّ، ألفهُ بعد الإنتهاء من تبْيِض«النّهاية في شرْحِ الهِدَاية»، أي: بعد سنة(٧٠٠هـ)، منه نسخة بخطه في مكتبة سليم آغا رقم(١١٧٦)، حقّقه : أحمد حسن أحمد، إشراف : رياض حسن خوام، وهي رسالة دكتوراه في جامعة أم القُرى، يقُوْل السِّغْنَاقِيّ(٢) : «لمّا اسْتَرَاحَ قَلَمُ الإمْلاء منْ تَبْيِضْ«النّهاية في شرح الهِدَاية»، أرَدْتُ أنْ أنْحُوَ إلى فنٍّ آخر، عَامٌّ فوَائِدُهُ، شَامِلٌ عوائده؛ ليكُونَ لي منْ خزائن ذلكَ الفَنّ أيْضاً صُرّةٌ، ومنْ طويلته دُرّةٌ، فرأيتُ«المُفَصّلِ»(٣) في ذلك عظِيمَ الجَدْوى، رَشِيقَ المَتْنِ والفَحْوى.

«الوافي»، ويعتبر أقدم مصنف له، وقد شرح فيه كتاب«المُنْتَخب في أصول المذهب»، لحُسَامِ الدّين مُحمّدِ بن مُحمّدِ بن عمر، أبي عبدالله، الأخْسِيْكَثيّ (٦٤٤هـ)، أوله :(أمّا بعد حمداً لله على نواله..)(٤)، يقول السِّغْنَاقِيّ(٥) في كتابه هذا :«أنّهُ أملى هذا الكتاب يوم الجمعة، بالعشرين

---

(١) «المُفصل في صنعة الإعراب» للزمخشري : «أحد الكتب الّتي خلّفت من ورائها حركة أدبية، استمرت مئات السنين، منها في القرن السابع الهجري فقط أكثر من عشرين شرحاً، ساهم فيها كبار الأئمة والأدباء، كالفخر الرّازي، والرضى الصاغاني، ...، ومن اهم شروحه :«شرح المنتجب الهمذانيّ»،(ت:٦٤٣هـ)، وشرح «السِّغْنَاقِيّ»،(ت:٧١٠هـ)، حيث جمع فيه بين «الإقليد» للجندي، و«المقتبس في توضيح ما التبس» للفخر الإسفندري(٦٩٨هـ) ... »، ينظر : الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، (١٩٩٣م)، «المفصل في صنعة الإعراب»، تحقيق: علي بو ملحم، ط:١، الناشر: مكتبة الهلال- بيروت.

(٢) ينظر: السِّغْنَاقِيّ،«المُوَصّل»، مصدر سابق، ج١، ص١.

(٣) و« المُفَصّل» كتابٌ في النّحو للزمخشري، ينظر : الباباني، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٤.

(٤) ينظر : الباباني،«هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٤، وحاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٤٨، وكحالة، «معجم المؤلفين»، مصدر سابق، ج٤، ص٢٨.

(٥) ينظر: السِّغْنَاقِيّ،«الوافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٧١٩.

من شهر صفر، الواقع في سنة(٦٩٢هـ)»، وحققه :أحمد محمّد اليماني،(١٤١٧هـ) كرسالة دكتوراة من جامعة أم القرى.

«الكافي شرح البزدوي(١)» في أصول الفقه، ويعدُّ من أهم المصادر في أصول الحنفية،(١٤٢٢هـ)(٢)، حيثُ ذكر السِّغْنَاقيُّ في آخره أنّهُ انتهى من تأليفه(٣) في أواخر جمادى الأولى سنة(٧٠٤هـ)، وقد قام على تحقيقه: فَخْرُ الدِّين سيد مُحمّد، (ط١)، مكتبة الرشد،الرياض.

«النّجاح التالي تلو المراح»، في الصّرف، تحقيق: عبدالله عثمان عبدالرحمن،(١٤١٤هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة(٤).

«وله شروح وروايات، كشرحه «التّمْهِيد» للمكحولي، في مجلد ضخم، وروى «التّمهيد» عن الإمام حافظ الدِّين الكردري عن الإمام علي بن أبي بكر صاحب «الهداية»...»(٥).

المطلب الرابع : مكانته العلمية

يقولُ السِّغْنَاقيُّ(١) :«لكنّ المُتطلّعين على«الْوَافِي» و«النّهايَة» أحسنُوا الظّنّ بي، واستدلُّوا بِهمَا على حُصُولِ مُرادِهِمْ على الكِفايَة، حتّى اقْرَنْبَعُوا(٢)

---

(١) وهو شرح لكتاب «أصول البزدوي» لأبي العسر، علي بن محمّد بن حسين بن عبدالكريم، والّذي يعدُّ من أهم المصادر في أصول الحنفية، كما قال ابن خلدون : « وأمّا طريقة الحنفية، فكتبوا فيها كثير، وكان من أحسن كتابه من المتقدمين ..أبي زيد الدبوسي، وأحسن كتابه المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البزدوي من أئمتهم، وهو مستوعب »، ينظر : ابن خلدون،«مقدمة ابن خلدون»، مصدر سابق، ج١، ص٤٥٦.

(٢) " صنف أيضاً «الكافي» شرح البزدوي"، ينظر : ابن قطلوبغا، «تاج التّراجم»، مصدر سابق، ج١،ص ١٦٠، وكحالة،« معجم المؤلفين»، مصدر سابق، ج٤،ص٢٨.

(٣) ينظر : القرشي،«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣.

(٤) ينظر: الباباني، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص ٣١٤، وجامعة أم القرى، مكة ، رقم الرسالة : ٢٣٢٢، عدد صفحاتها : ٢٣٩ ، وموجود كمخطوط في مكتبة : خزانة التراث، الرقم المتسلسل لها : (٧٦٠٦١).

(٥) ينظر : القرشي، « الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣.

اقْرَنْبَعُوا(٢) في الاقْتِرَاحِ على الغَايَة، فَأَيْنمَا توجّهتُ إلى البُلدان الشّاسعَة، والأسْفَارِ الجَازِعَة، تَضَامَّتْ كُبَرَاؤُهمْ في الاحْتِكَامِ هُنالك، كأنّهم تَسَارَّوا في التّوَاصِي على ذلك، معَ تَبايُن مَسَافاتهِم النّازِحَة، وتباعد طرقهم الطّالِحَة...

ولوْ لم يكنْ فيه إلّا ما التمسَ به أخي في الله الْإِمَامُ البارعُ... الأخُ الصّديقُ الْعطُوف، وَالْحبُّ الشّفيقُ بُرهَانُ الدّين أحمد(٣) بن أسعد بن مُحمّد البُخَارِيّ(٤)، أدَامَهُ اللهُ وَشَكَرَ مَسَاعيه، وَزَادَ توفيقَهُ في الدّين وَمَعَاليه، لكَانَ الْواجبُ عليّ التّلقّي بالاستجَابة، والإقْبَال بالاسْتطَابَة، فَإنّهُ سَلّمَهُ الله تَعَالى كَانَ يُوصيني به مِرَاراً، ويُكْرِمُني بالالتمَاس به سِراً وَجهاراً، فَأجَبْتُهُ في ذَلكَ بأمْرِهِ مُؤْتَمِراً، وَلمَوَدّته مُزْدَهِراً».

إنّ المتتبع لقول السّغْنَاقِيّ هذا، يلحظ مدى احترامه وتوقيره وملازمته للعلماء، ومنهم شيخه حافظ الدّين البُخَارِي، ولا عجب في ذلك، حيث اعتنى به شيخه وربّاهُ تربيةَ الوالد للولد، لذا أسندَ إليه الفتوى في شبابه، وخصّهُ بذلك من بين أصحابه؛ لنَجَابته، وتميّزه من بين أقرانه.

وشهدَ بحقّه ابنُ تغري بردي حيثُ قال :«وكان إماماً علّامة، انتهت إليه رئاسة السّادة الحنفيّة في زمانه»(٥)، وكذلك ابن حجر العسقلاني، حيثُ أشار إلى تقدّم السّغْنَاقِيّ في العلم، وممّا يدلُ على ذلك حرصهُ على

---

(١) ينظر: السّغْنَاقِيّ، «الكافي »، مصدر سابق، ص١٤٠.

(٢) قربع: المُقْرَنْبِع : المُجْتمعُ، واقْرَنْبَعَ الرّجُلُ في مجلسه، أي: تقبّضَ من البَرْد، قالَ: وَمِثْلُهُ : اقْرَعَبّ، أي انْقبَضَ، والمراد هنا : اجتمعوا، ينظر: ابن منظور،«لسان العرب»، مصدر سابق، ج٨، ص٢٧٠.

(٣) ينظر: اللكنوي،«الفوائد البهية»، مصدر سابق،ج١، ص١٥ .

(٤) " أنبأنا أحمد بن أسعد البُخَاري، والحُسَام حُسين السّغْنَاقِيّ، قالا : أنبأنا حافظ الدّين محمّد بن محمّد بن نصر البخاري، أنبأنا شمسُ الأئمّة محمّد بن عبد الستار الكردري ..." ، ينظر : السيوطي، «بغية الوعاة»، مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٧ .

(٥) انتهى من ابن تغري بردي، «المنهل الصافي»، مصدر سابق، ج٥، ص١٦٦ .

اقتناء الكتب وروايتها، فقد روى «المُفَصّلَ»، و«التمهيد»(١)، و«والهداية»، و«أصول البزدوي»، والمُطلعُ عليها وغيرها ممّا صنف، يدْرِكُ سعة علمة واطلاعه، من خلال الإحالات الكثيرة إلى الكتب والمُصنفات في فنونٍ شتى، فهو يحيلُ إلى كتب التّفسير، واللغة، والفقه والأصول، والشّروح، وغيرها.

المطلب الخامس: وفاته

المؤرخون وعلماء التراجم اختلفوا في تاريخ وفاته على ثلاثة أقوال :

القول الأول: لحاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون»(٢) : أنّهُ توفي سنة عشرٍ وسبعمائة للهجرة، وهذا احتمالٌ ضعيف وبعيد للأسباب التالية :

لأنّهُ –رحمهُ الله- توجه إلى دمشق قاصداً دخولها سنة(٧١٠هـ)(٣).

دخوله حلب، واجتماعه فيها بقاضي القضاة ناصر الدّين محمّد القاضي،كمال الدّين أبي حفص عمر بن العديم، وكتب له نسخة من شروحه على «الهداية»، وكان ذلك في غرة شهر الله المعظم رجب الفرد من شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة(٤).

القول الثاني : قيل : توفي في رجب سنة (٧١١هـ)(٥)، والاحتمال هنا ضعيفٌ، وذلك للأسباب التالية:

---

(١) «التمهيد»: المقصود كتاب « التّسديد في شرح التمهيد» أي تمهيد قواعد التوحيد، وهو مجلد ضخم، لأبي المعين النّسفي، ينظر : حاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج١،ص ٤٠٣، والباباني، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٤، وكحالة،« معجم المؤلفين»، مصدر سابق، ج٤، ص٢٨ .

(٢) ينظر: حاجي خليفة، «كشف الظنون»، مصدر سابق، ج١، ص ١١٢ .

(٣) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج٢، ص١١٤ .

(٤) " حسام الدِّين نزيل حلب، والمتوفي بها سنة ٧١١ه " ، ينظر : الباباني، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٤ .

(٥) ينظر : البغدادي، «هدية العارفين»، مصدر سابق، ج١، ص٣١٤، وكحالة، «معجم المؤلفين»، مصدر سابق، ج٤، ص٢٨ .

« قال السِّغْناقي: كتبت لهُ نسخة يعني من شرحه ، كتبت أولها بيدي ،وآخرها بيدي، ثمّ أجزتُ لهُ أنْ يرويها ويروي جميع مجموعاتي ومؤلفاتي خصُوصاً ، ويروي أيضاً ما كان لي فيه حمرَة الرِّوَاية من الأساتذة، قال: وكان هذا في غرّة شهر المعظم رجب، من شهور سنة إحدى عشرة وسبع مائة»(١)، لذا تأكدت حياته إلى شهر رجب عام (٧١١هـ) كما مرّ، ممّا يدلّ على ضعف هذا القول.

ولأنّهُ كتب لابن العديم كتاب«النِّهاية» بيده(٢)، وهو كتابٌ كبيرٌ وضخم، وكتبها في عدة مجلدات، وكتابتها تحتاج إلى صحّةٍ جيدة .

القول الثالث :قيل : توفي سنة (٧١٤هـ) بحلب(٣)، وهو الغالب في صحّته؛ للأسباب التّالية :

ضعفُ الرِّوايات والدّلائل السّابقة الوارده في القول الأوّل والثاني .

لأنّ المؤرخين لم يذكروا بعد شهر رجب سنة(٧١١هـ) شيئاً من نشاطه، فلربما أنّهُ مرض وضعف إلى أنْ توفاهُ اللهُ سنة (٧١٤هـ).

رجوعه من حلب بعد سنة (٧١١هـ) إلى بلده مرو، كما ذكر ابن رافع(٤)، والرّاجح أنّهُ كان سنة (٧١٤هـ).

واللهُ أعلم بالصواب

---

(١) ينظر : القرشي، «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣.

(٢) " قال السِّغْنَاقِيّ : كتبتُ لهُ –يعني من شرحه لابن العديم – كتبت أولها بيدي، وآخرها بيدي، ثمّ أجزت لهُ أنْ يرويها ويروي جميع مجموعاتي ومؤلفاتي، خصُوصاً ..." ، ينظر : القرشي،«الجواهر المضية»، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣.

(٣) ينظر: اللكنوي، «الفوائد البهية»، مصدر سابق، ص٦٢، وكحالة، عمر بن رضا بن راغب، «معجم المؤلفين»، ج٤، ص٢٨، الناشر: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٤) ينظر : السلامي، «منتخب المختار»، مصدر سابق، ص٤١.

فهرست المصادر والمراجع

الباباني، اسماعيل بن محمّد أمين،(١٩٥١م)،« هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، الناشر : طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول

البخاري علاء الدّين، عبد العزيز بن أحمد بن محمّد،« كشف الأسرار شرح أصول البزدوي »، الناشر: دار الكتاب الإسلامي- بيروت .

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، « المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي»، تحقيق: محمّد محمّد أمين، دار النشر: الهيئه المصرية العامة للكتاب –القاهره .

ابن الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف، عني بنشره لأول مرّةٍ عام (١٣٥١هـ)،« غاية النهاية في طبقات القرّاء »، ج : برجستراسر، الناشر: مكتبة ابن تيمية

حاج خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب،(١٩٤١م)،« كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، الناشر: مكتبة المثنى –بغداد .

الحموي، شهاب الدّين ياقوت بن عبدالله الرومي، (١٩٩٥م)، «معجم البلدان »، ط :٢، الناشر: دار صادر- بيروت

الخطابي، أحمد بن محمّد بن ابراهيم البستي، (١٤٠٢هـ)،« غريب الحديث»، تحقيق: عبد الكريم ابراهيم العزباوي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة .

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد بن محمّد، (١٤٠٨هـ)، «تاريخ ابن خلدون»، تحقيق: خليل شحادة، ط :٢، الناشر: دار الفكر – بيروت.

ابن خلكان، شمس الدّين أحمد بن محمّد بن ابراهيم، (١٩٠٠-١٩٩٤)،« وفيات الأعيان»، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، (١٤١٣هـ)،« تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام »، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط:٢، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت .

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، « العبر في خبر من غبر»، تحقيق: أبو هاجر محمّد بن السعيد زغلول، ٣، الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت.

الزّبيدي، محمّد بن عبدالرّزاق الحسيني، «تاج العروس في جواهر القاموس»، تحقيق: مجموعة محققين، الناشر: دار الهداية .

الزّركلي، خير الدّين، (٢٠٠٢م)،« الأعلام»، ط١٥، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت .

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، (١٩٩٣م)،« المفصل في صنعة الإعراب»، تحقيق: علي بو ملحم، ط:١، الناشر: مكتبة الهلال- بيروت.

السِّغْنَاقِي، (١٤١٤هـ)، «النّجاح التّالي تلو المراح»، تحقيق: عبدالله عثمان عبدالرحمن، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

السِّغْنَاقِيّ، (١٤١٧هـ)،«الوافي في أصول الفقه»، تحقيق: أحمد محمّد اليماني، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى- مكة المكرمة

السلامي، محمّد بن رافع (١٤٢٠هـ)،« منتخب المختار»- تاريخ علماء بغداد-، انتخبه التقي الفاسي المكي، صححه عباس العزاوي، ط٢، الدار: العربية للموسوعات، بيروت .

السيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، تحقيق: محمّد أبو الفضل ابراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان

ابن العبري، غريغوريوس، يوحنا ابن أهرون بن توما،(١٩٩٢)،« تاريخ مختصر الدول» تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي

ابن عربشاه، أحمد بن محمّد، (١٨١٧هـ)، « عجائب المقدور في أخبار تيمور »، طبعة : كلكتا .

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمّد بن حجر، (١٣٩٢هـ)،« الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، تحقيق : محمّد عبد المعيد خان، ط٢، ، دار النشر: حيدر اباد –الهند .

الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي، (١٤٠٣هـ)،« الطبقات السنية في تراجم الحنفية »، تحقيق :عبد الفتاح محمّد الحلو، ط١، الناشر: دار الرّفاعي- الرياض .

فامبري،« تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتّى العصر الحاضر»، ترجمة: أحمد محمود السّاداتي، راجعه : يحيى الخشاب، دار النشر: نهضة الشّرق- جامعة القاهرة .

القرشي،عبد القادر بن محمد بن نصرالله (١٣٣٢هـ)،« الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، ت: مير محمد كتب خانه، كراتشي .

ابن قطلوبغا، زين الدين قاسم السودوني، (١٤١٣هـ)،«تاج التراجم» تحقيق: محمد خير رمضان، ط١، الناشر: دار القلم،-دمشق .

ابن كثير، اسماعيل بن عمر القرشي، (١٤٠٨هـ)،«البداية والنهاية»، تحقيق: علي شيري، ط:١، الناشر: دار إحياء التراث العربي- مصر

اللكنوي، محمّد عبد الحي، ابو الحسنات الهندي، (١٣٢٤هـ)،« الفوائد البهية في تراجم الحنفية »، تحقيق: محمّد بدر الدّين النعساني، ط:١، الناشر: مطبعة السّعادة- مصر .

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار »، ط :١، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت .